المحاضرة السّادسة: لسانيات النص وعلاقتها ببعض العلوم.

ثانيا:لسانيات النص وعلاقتها بالأسلوبية

ألف فان دايك كتابا أسماه: (علم النّص مدخل متداخل الاختصاصات) وجعل العنوان الأول من الفصل الأول، عنوان الكتاب ذاته، ذكر فيه علاقة هذا العلم بعلم الأدب وعلم الأسلوب وعلم النفس وعلوم الاجتماع.[1] وسنحاول في هذه المحاضرة، رصد التعالق بين علم النص والأسلوبية.

إذا أردنا تعريف الأسلوبية وتحديد مجالها، سنجد أنفسنا في أوّل إشكالاتها، ذلك أنّه من الصّعب جدّا إن لم يكن من المستبعد وجود تعريف شامل مانع لها، وتعود صعوبة تعريفها وتحديد مجالها كون مهمّتها دراسة الأسلوب، وهنا سنستبعد كثيرا من أنواع الأساليب، لنخصّص أسلوب الخطاب، الذي سنجده نتاجا فكريا لا يخضع لتفكير صاحبه ولغته فقط، بل لكثير من العوامل الأخرى التي تشترك في وجوده، سياقية ونسقية، نفسية ولغوية، وكلّ عامل من هذه العوامل يظهر من خلال الأسلوب، فإذا درست الأسلوبية أسلوب الخطاب ستجد نفسها في حاجة لتحديد زاوية ما تنطلق منها لبدء الدّراسة، ومن هنا سيكون لها عدّة أوجه، مجموع تعريفات تلك الأوجه هو تعريف الأسلوبية.

أورد عبد السلام المسدي تعريف دولاس للأسلوبية قوله: "**إن الأسلوبسة وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات**"[2] نلاحظ في التعريف مصطلح (نص) وهذا يعني أن الأسلوبية لا تكتفي بالجملة أو العبارة، بل لا تتم مهمتها إلا بوصفها للمكون الكلي؛ النّص.

---

[1] - ينظر، فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ص14//15.

[2] - عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص48.

وقد عرفت الأسلوبية عدّة اتجاهات، فكانت نظرة أصحابها إليها مختلفة حسب رؤية وتوجّه ذلك الاتجّاه ويمكن أن نستشف بين كل اتجاه وعلم النص تقاطعات، نبينها فيما يلي:

نظرة الأسلوبية التعبيرية: وصاحبها (شارل بالي) وهو مؤسس هذا العلم يقول: «**تدرس الأسلوبية وقائع التعبير اللغوي من ناحية مضامينها الوجدانية؛ أي أنّها تدرس تعبير الوقائع للحساسية المعبر عنها لغويا، كما تدرس فعل الوقائع اللغوية على الحساسية**»[3] ، وهو ما نقله صلاح فضل عن بالي حينما قال:«**إنّ مهمة علم الأسلوب الرئيسية في تقديري تتمثل في البحث عن الأنماط التعبيرية التي تترجم في فترة معيّنة حركات فكر وشعور المتحدثين باللغة؛ ودراسة التأثيرات العفوية النّاجمة عن هذه الأنماط لدى السّامعين والقرّاء**»[4] ليقوم هذا العلم بترجمة الأحاسيس من خلال اللغة، لابد أن ينظر إلى بنية أكبر من الجملة، فمجموع النّص هو ما يمكننا ذلك، وهنا تكون الأسلوبية التعبيرية تبحث في النص ككل، وهو الغاية الكبرى لعلم النّص.

نظرة الأسلوبية البنيوية: يقول ميشال ريفاتير: «**إن أسلوبيتنا دراسة للمتغيرات اللسانية إزاء المعيار القاعدي، وذلك لأن القواعد مجموعة من القوانين، أي مجموعة من الالتزامات التي يعرضها النّظام والمعيار على مستعمل اللغة، والأسلوبية تحدد نوعية الحريات داخل هذا النّظام**»[5] كما يرى ريفاتير أن الرّجوع إلى الكاتب يفقد الملاءمة الأسلوبية، وأنّ الظاهرة الأدبية كامنة بين عنصرين من عناصر الرّسالة وهما النّص والقارئ

---

[3] – بيير جيرو، الأسلوبية، تر، منذر عياشي، دار الحاسوب للطباعة، حلب، ط3، 1994م، ص54.

[4] – علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، دار الشّروق، بيروت، ط1، 1998م، ص21.

[5] – منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2002م، ص 35.

وذلك من خلال ردود فعل هذا الأخير عند القراءة،[6] إذ «**يحدد الأسلوب اعتمادا على أثر الكلام في المتقبّل فيعرفه بأنه إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام وحمل القارئ على الانتباه إليها بحيث إذا غفل عنها شوّه النّص وإذا حلّلها وجد لها دلالات تمييزية خاصة، مما يسمح بتقرير أن الكلام يعبّر والأسلوب يبرزُ**»[7] في المقولة الأخيرة نميز بيسر تقاطع الرؤية البنيوية للأسلوبية مع لسانيات النص من خلال العبارة (إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام) وعبارة (إذا غفل عنها شوّه النص).

نظرة الأسلوبية النّفسية: الاتجاه الأسلوبي النّفسي اتّجاه متأثر بالمثالية الألمانية، وتمتد جذوره لكروتشيه، وفوسلير، يعتبر اللساني والفيلولوجي النّمساوي (ليو سبيتزر) (Leo Spitzer)1887-1960 هو من أرسى مبادئ وقواعد الأسلوبية النّفسية، ويمكن رؤية هذا العالم للأسلوبية أن مقاربة النّص تنطلق من الحدس الذي تغذيه الموهبة من جهة والتجربة من جهة أخرى، وأن أي جزئية تسمح لنا بالتّوصل لمركز العمل، إذ العمل عبارة عن جسم كائن حيّ ومن أي مكان من الجسم أخذنا عيّنة من الدّم، فستكون النّتيجة التي تقّدمها هي ذاتها النّتيجة التي تقدّمها أي قطرة دم أخرى من موضع آخر، هذا العمل بما يحمله من آثار هو ترجمان لصاحبه، وهو في الوقت ذاته ترجمان لذلك العصر.[8] وهنا أيضا نجد أن الأسلوبية النّفسية كسابقتيها، لا تبحث عن جزئية معينة إلا لتصل إلى الكل الذي يتكون من مجموع تلك الجزئيات متحدة، وأن أي جزئية لابد أن تصطبغ بخاصية النص ذاته.

---

[6] – ينظر، نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص 95.

[7] – عبد السلام المسدي، الأسلوبية والسلوب، الدار العربية للكتاب، ط3، دت، ص 83.

[8] – ينظر، نفسه، ص167-169.

وقد ناقش فان دايك في كتابه السابق، أهداف التحليل الأسلوبي وقضاياه في ظل علم النّص، مركزا على إمكانية طرح نفس الفكرة ذات المعنى المحدد بعبارات متباينة في التركيب والاختيار، ويمثل لذلك بـ:

1) "ذهبت إلى أخصائي أمراض النساء.
2) توجهت إلى طبيب أمراض النساء.
3) قالت إنها ربما تذهب إلى الطبيب في اليوم التّالي.
4) في الغد ربما تذهب إلى الطّبيب، هذا قولها.

يدور الأمر في (1) و (2) حول متغيرات (بدائل) معجمية، وفي (3) و (4) حول متغيرات (بدائل) تركيبية"[9] .

وعند الرجوع إلى ما ما يميز الدّراسة الأسلوبية عن الدراسة اللسانية الوصفية، سنجد أن واحدا من أهم مميزاتها يتعلق بطريقة مباشرة بعلم النّص: في ما نقله رابح بن خوية عن فاوس:"**الأسلوبية هي فرع من اللسانية إلا أن هذا الفرع يعني بمعالجة المتغيرات الموجودة داخل النص بكلّ أقسامه**"[10] وهو ما قرره نور الدين السّد، **أن اللسانيات تعنى بالجملة غير أن الأسلوبية تعنى بالإنتاج الكلي للكلام**[11]

يمكن أن نخلص إلى أن الأسلوبية ككثير من العلوم الأخرى لها تقاطعات مع لسانيات النّص وهو أمر طبيعي، كون كليهما يعالجان نفس المادة، النّص من جهة، وكون الأسلوبية تبحث في كل ما يميز أسلوبا عن آخر في التركيب أو الاختيار، ولا يتأتى ذلك إلا من مجموع النّص، الذي تبحث لسانيات النص فيه أيضا في قضايا تماسكه من خلال نفس المباحث وإن كانت غاية الأولى البحث عن خصائص

[9] - فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ص 160.
[10] - رابح بن خوية، مقدمة في الأسلوبية، مطبعة nir المنطقة الصناعية حمروش حمودي، سكيكدة، ط1، 2007م، ص95.
[11] - نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص47.

الأسلوب والبعد الجمالي، والثانية تهدف إلى البحث عن الروابط التي تسهم في اتساق وانسجام النص.

ثالثا: لسانيات النص وعلاقتها بالحجاج:

أشرنا في المحاضرات السالفة أن العلوم مهما كانت طبيعة بحثها تلتقي في نقاط وكلما كانت طبيعة البحث متقاربة كانت صلتها أكبر وأمتن، والحجاج يتناول النص والخطاب كما تفعل لسانيات النّص، كما رأينا العلاقة الوطيدة في مبحث المقصدية بين التداولية ولسانيات النّص، يمكن أن نرى تلك العلاقة قائمة بين لسانيات النص والحجاج في نفس المبحث، ذلك أن من والجهة النصّية لا يكون النصّ نصّا إلا إذا حمل مقصدا، وحتى يتحقق القصد، سيكون صاحبه مُطالباً بالإقناع الذي يستدعي حججا، مختلفة، بعضها تتقمصه اللغة بما تحمله من قضايا بلاغية، وبعضها مقامي ويتجسد في المباحث التداولية وأخرى مفاهيمية نلمسها في الحجاج الفلسفي.

الحجاج البلاغي: يتقاطع في هذا النوع من الحجاج مع مجموعة من المعايير النّصية، منها ما يتعلق بالنص مباشرة معيارا (الاتساق والانسجام) وما هو خارج النّص معيارا (المقصدية والتقبلية) ذلك أن الحجاج البلاغي يعتمد أدوات حجاجية فمن "**مصلحة الخطاب الحجاجي أن يقوي طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية والبيانية التي تظهر المعنى بطريقة أجلى وأوقع في النّفس**"[12] وهذه لابد أن تظهر على سطح النّص الذي لا يمكن أن تتحقق غايتها إلا إذا كان النصّ أو الخطاب متسقا منسجما، وما دام الغرض من هذه الأدوات هو تحقيق القصد بالتّأثير على المتلقي واستمالته لقبول ذلك النص أو ذلك الخطاب فذلك ما أرادته لسانيات النّص بالمقصدية والمقبولية.

[12] - صابر الحباشة، محاولات في تحليل الخطاب، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2009م، ص124

الحجاج التّداولي: إنّ تأويل قول ما يتجاوز الدلالة التي ترمي إليها العبارة المتلفظ بها، والذي يحكم على صحّة هذا التجاوز وإصابة التأويل هو مجموعة من السياقات[13] سياقات محيطة بالتلفظ زمانا ومكانا ومخاطبين، ومراعاة المقام واحد من أهم المعايير النّصية فكأن الآلية المقامية المستعملة في الحجاج مسهمة في جعل النّص نصّا ، إذ "يمثل المقام أحد المقومات الفاعلة في اتساق النّص، وخاصة من الناحية الدلالية، وعليه فإن نصيّة الخطاب لا تكتمل ولا تستقيم إلا إذا راعى صاحبه في إنجازه، الظروف المحيطة التي سيظهر فيها النّص، لذا فإن خطابا يبتعد كثيرا عن التّقاليد السائدة، وعن الأعراف الاجتماعية المتعارف عليها، لن يلاقي قبولا حسنا"[14]

وإذا عدنا إلى النظر في الحجاج الفلسفي وبالتحديد الدرس اليوناني القديم، سنجده ينقسم إلى قسمين؛**الدرس السفسطي** ويمثله السفسطائيون معتمدين على منهج التأثير في المتلقي بالمراوغات الكلامية **والدرس الفلسفي** الذي يمثله أرسطو معتمدا على الحجة الجدلية، ومجموع ماكان في الدّرسين، هو ما انتهى إليه الدّرس الحجاجي اليوناني في مقومات بناء الخطاب، يقول هنريش بليث: "وحول معرفة كيفية بناء النّص تقترح البلاغة نموذجا من خمس خطوات يصف مختلف مراحل بناء النّص في تتابعها الزّمني...

-الإيجاد: تحضير ما يقال؛

-الترتيب: تنظيم المادة المحصل عليها؛

العبارة: إضافة المحسنات البلاغية.

الذاكرة: الرّجوع إلى الذاكرة؛

---

[13] - ينظر، آن روبول، وجاك موشلار' التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص55/54.
[14] - محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص، ص99.

الإلقاء: تشخيص الخطاب شأن الممثل: الحركات والإنشاد."[15]

كما يمكن أن نرصد الصّلة بين لسانيات النص والحجاج، من خلال التقانات المعتمدة في مقاربة التحليل الحجاجي للخطابات والنصوص؛ إذ يمكن أن نميز بين ثلاث تقانات يمكن أن نقارب بها الخطاب: (آليات لغوية، آليات بلاغية، آليات شبه منطقية).[16]

تقانة الآليات اللغوية المحضة: ومنها الألفاظ الدالة على العلل؛ (لأن/كي/ لكي/ من أجل) ومنها التراكيب الشرطية، ومنها أفعال الكلام.[17]

تقانة الآليات البلاغية: منها آليات البلاغة القديمة(الصور البيانية والمحسنات)، وآليات البلاغة الجديدة وهو ما جاء في أعمال شايم بيرلمان وزميله تيتيكا، معتمدين على حجج مبنية على الواقع؛ أي واقعية منطقية، يستعملها المتكلم بتسلسل منطقي لإقناع المتلقي، وحجج أخرى لبنية الواقع، وهي كاستعمال المثل، للاقناع وتدعيم القول.[18]

تقانة الآليات الشبه منطقية: وهي آلية متصلة بعمل الفكر في ترتيب الحجج، وهندسة تواصل الحجج مع النتيجة المبتغاة، وهي مقسمة إلى سلّمية وغير سلمية.[19]

إن هذه التقانات لا سيما اللغوية والشبه منطقية، هي ما تهتم به لسانيات النّص ففي الآليات اللغوية نجد ذلك في مباحث الاتساق، كآلية الوصل وأنواعه من وصل سببي وعكسي وزمني وإضافي، وفي مباحث الانسجام في العلاقات الدلالية كعلاقة الشرط وجوابه، وفيه أيضا ما تعلق بالآليات الشبه منطقية، والتي لا يمكن أن تتحقق بدون قضية معرفة العالم، ومبدأ التّشابه، الذي يتمكن الذهن من خلاله ربط ما هو حاضر بما هو غائب.

---

[15] - هنريش بليث البلاغة والأسلوبية، تر، محمد العمري، أفريقيا الشرق،ط2، 1999م، ص33.
[16] - ينظر، لزهر كرشو، تقانة التحليل الحجاجي للخطاب، مطبعة الرمال، الوادين دط، ص 58.
[17] - ينظر، نفسه ص62.
[18] - ينظر، نفسه، ص100 وما بعدها.
[19] - ينظر، نفسهن ص108.